افتتاحية

أن تكون رئيس تحرير مجلة لمدة 15 سنة

ساري حنفي

رئيس التحرير وأستاذ علم الاجتماع، الجامعة الأمريكية في بيروت.

في يوم 14 تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 2007، حضر إلى مكتبي الصديقان العزيزان فهمية شرف الدين والطاهر لبيب في الجامعة الأمريكية في بيروت. ليطلبوا مني رئاسة تحرير مجلة **إضافات**ـ المجلة العربية لعلم الاجتماع. ورغم خوفي من تحمُّل مسؤولية ستأخذ مني الوقت الكثير، فقد قررت تحمّلها. اتفقنا على أن نلتقي مع المرحوم خير الدين حسيب، المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية آنذاك. فالمجلة هي من مسؤولية الجمعية العربية لعلم الاجتماع وهذا المركز. ما زلت أتذكر ودية هذا اللقاء واهتمام خير الدين بالتعاون ليس فقط مع الجمعية العربية ولكن أيضًا مع الجامعة الأمريكية في بيروت. كان هذا اللقاء أيضًا تاريخيًا، حيث كان فاتحةً لتطوير بعض النشاطات المشتركة بين المركز وجامعتي. وتطورت علاقتي الاجتماعية والمهنية مع خير الدين لأصبح عضوًا في هيئات تحرير كل مجلات المركز (**المستقبل العربي**، و**بحوث اقتصادية عربية**، و**المجلة العربية للعلوم السياسية**، و**إضافات**). وطبعًا لذلك تبعات جدية تتمثل باجتماع نصف شهري لمدة ساعة ونصف أو ساعتين وقبلها قراءة مواد كثيرة تصل إلى هذه المجلات وتقارير المراجعين وتقييمها. لم يكن التعامل مع المرحوم خير الدين دائمًا سهلًا، وكنت أتجرأ على معارضة بعض قراراته، وبخاصة أن تعاوني مع المركز هو طوعي بلا مقابل مادي. وحافزي بذلك قضاء الكثير من الوقت في التعاون مع المركز وفي رئاسة مجلة **إضافات** هو شعوري بأهمية المراكز البحثية ذات البعد القومي العربي والتي لم يكن يبلغ عددها أصابع اليد الواحدة. وما جعلني أصبر على مواظبتي على الاجتماعات النصف شهرية في المركز لحقبة طويلة استمرت حتى بدء جائحة كورونا هو ليس فقط شعوري بالمسؤولية الفكرية ولكن أيضًا استمتاعي في النقاش الذي يحصل داخل هذه الهيئة والتي تتكون من أعضاء تعدد مشاربهم الفكرية والأيديولوجية. لقاءات جدية ولكن لا يمنع ذلك شيء من المرح. فمثلًا كنت استمتع كثيرًا بمداخلات الصديق الطاهر لبيب، الرئيس الفخري للجمعية العربية لعلم الاجتماع والذي كان آنذاك رئيس المؤسسة العربية للترجمة، وأسلوبه الساخر في تقييم بعض المخطوطات المرسلة إلى المركز، واصفًا

إياها بأنها لا ترقى لإعطائها علامة الصفر، فكان يعطيها رقمًا سلبيًا. لم يكن الاقتصادي المرموق خير الدين يحب كثيرًا ذلك معتقدًا أن هذا التنكيت يخرب عملية إيجاد متوسط حسابي لتقييمات أعضاء هيئة التحرير.

ها أنذا اليوم قد حررت 60 عددًا خلال 15 سنة منذ رئاسة تحرير مجلة **إضافات**. وقد صدر عن هذه المجلة أعداد غير دورية منذ عام 2000، بمعدل عدد كل سنة ونصف. ولم تبدأ بالانتظام إلا في ربيع عام 2008، حيث صدر العدد الأول، وتوالت بمعدل 4 أعداد سنويًا. لا أخفي على القارئ أنني ما كنت أرضى البقاء في هذه المدة الطويلة لولا شعوري بأهمية الجماعة العلمية في الوطن العربي. وكنت أتذمر في السنوات الأخيرة للزملاء في الجمعية والمركز وأدعو للبحث عن رئيس تحرير بديل. فمسؤولية رئاسة تحرير مجلة بدون سكرتارية، يعني الوقوع على عاتقي القراءة الأولية للمواد التي تصل ومن ثم إرسال ما يصلح بالفرز الأولي إلى مراجعين (أو أكثر في بعض الأحيان)، إضافة طبعًا إلى اللجنة العلمية لمجلات مركز دراسات الوحدة العربية. لم يكن إيجاد مراجعين شيئًا بالأمر السهل (وهذا بحد ذاته مؤشر إلى ضعف الجماعة العلمية) في الوقت الذي لا نستطيع دفع مبلغ مقابل ذلك العمل. وطبعًا تُعَدّ تطوعية المراجعة من مسلّمات الجماعة العلمية في العالم أي من دون مقابل (أجر). ولكن ما أثر في السلب، هو ما قامت بعض الدول العربية وبخاصة في الخليج بإيجاد تراث جديد وهو الدفع للمحكّمين آخذين بعين الحسبان أن معاش أساتذة العلوم الاجتماعية في الجامعات الوطنية متواضع. وقد أدى ذلك إلى تأخير قرارات النشر والتي يفترض أن لا تتجاوز ثلاثة أشهر. وكان غياب السكرتارية سببًا في عدم قدرتي لسنوات كثيرة على تحرير الملخصات باللغة الأجنبية لما تأخذ وقتًا مني في ذلك. ولكن انتهينا إلى أن تكون للمجلة ملخصات في العربية ولغة أجنبية حسب المواصفات القياسية لقواعد البيانات الدولية. وأصبحت **إضافات** مجلة معتبرة في معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية «أرسيف» (ARCIF). (حول هذا المعامل انظر إلى حنفي 2202).

وطبعًا لمجلة **إضافات** هيئة استشارية والتي اتفقنا منذ عددها الأول أن تتكون من أعضاء مجلس أمناء الجمعية العربية لعلم الاجتماع. وفي بعض الأحيان أدّت هذه الهيئة دورًا في الحفاظ على مستوى المجلة وريادتها في الوطن العربي. وبعد أن يجهز المقال علميًا، يقوم مركز دراسات الوحدة العربية بالدور الرئيس في التحرير اللغوي للمقالات ووضعها بصورتها النهائية لتكون جاهزة للنشر. لم يكن هذا ممكنًا لولا الجهود العظيمة التي قام بها الكثير من عاملين هذا المركز. ولعلي هنا يجب أن أذكر امتناني الحار أولًا إلى سلام سعد التي واكبت عملية التحرير منذ العدد الأول إلى يومنا هذا بابتسامة ومهنية عالية. وطبعاً أدّى قسم التحرير والطباعة دورًا أساسيًا في هذه العملية ولا أنسى فضل الأستاذين رياض قاسم وفارس أبي صعب في ذلك. لقد استمرت مجلة إضافات في الصدور على الرغم من الأزمة المالية الخانقة التي تعرض لها المركز؛ ولولا مهارة المديرة العامة للمركز، الأستاذة لونا أبو سويرح، في دعم هذه المجلة لما استمرت في الصدور. شكرًا لك يا لونا، وشكرًا لمركز دراسات الوحدة العربية.

أن تكون رئيس تحرير مجلة لمدة 15 سنة، يعني استلام عدد من «الإيميلات» يوميًا بمقالات معروضة للنشر في المجلة ومتابعة المراسلات الكثيرة مع المؤلفين والمراجعين. أصبح روتين يوم الجمعة (وهو يوم لا أدرّس به) أن أستيقظ صباحًا فاتحًا الملف الخاص لمجلة **إضافات** واستمر في القراءة والمتابعة غالبًا في طول هذا اليوم. هل هذه شكوى؟ نعم ولا: لقد رافق هذا العناء صيرورة تعلم من قراءة المخطوطات التي تصلني. فكوني باحثًا في علم اجتماع المعرفة ومهتمًا بالإنتاج المعرفي العربي مثلت مهمة رئاسة التحرير مرصدًا مهمًا وموقعًا لإثنوغرافيا امتدت على مدى هذه السنوات، لما يحصل في الوطن العربي وكيف يعبر عنه الباحثون العرب. ومن يهمه ذلك يمكنه الاطلاع على كتابي **البحث العربي ومجتمع المعرفة** الذي صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية بالعربية وعن راوتلج في الإنكليزية بالتعاون مع الصديق ريغاس أرفانيتيس. (حنفي وأرفانيتيس 2015) وقد خصصت في هذا الكتاب فصلًا حول مجلة **إضافات** بما في ذلك الكثير من الإحصاءات حول توزع المقالات المنشورة ومؤلفيها جغرافيًّا وجندريًّا وحسب المواضيع من بين متغيرات أخرى. ولقد عملت في الشهر الماضي على تحديث هذه الإحصاءات لتعكس مسيرة 60 عددًا من هذه المجلة. وفي هذا الفضاء دعوني فقط أن أعطيكم الإحصائية التالية: قامت مجلة إضافات بقبول 18 بالمئة من ما تقدم لها من مخطوطات. 2 بالمئة فقط من ذلك قد نشر من دون طلب تعديلات أساسية أو ثانوية وسبب ذلك غالبًا أنها نصوص مترجمة. وللمقارنة، فهذا المعدل هو أعلى من معدل الأوراق المقبولة في مجلة *Current Sociology*، وهي مجلة الجمعية الدولية لعلم الاجتماع وهو 15.5 بالمئة (Martin, 2012).

طبعًا كنت أسر جدًا عندما ألتقي بزملاء لي في علم الاجتماع في سفراتي إلى البلدان العربية، حيث يذكّرني بعضهم أنني نشرت لهم مقالة. ولكن كان يصلني أيضًا العتب من بعضهم الآخر بسبب عدم نشر مخطوطاتهم. قد يصل ذلك بعض الأحيان إلى «خصومات». ما زلت أذكر كيف قام أحد أساتذة علم الاجتماع المرموقين في تونس عندما رفضنا نشر مسودة مقال كان قد أرسلها لنا، بأن أرسل المقالة منشورة بعد سنة في مجلة أخرى مع رسالة قاسية يمكن تلخيصها بعبارة «ما بدنا جميلة **إضافات**». كان البعض يلومني بأن هواي مغاربي أي أنني أنشر بكثرة للباحثين في المغرب وتونس، مقارنة مع دول مشرقية. اعترف بأن «ضعفي» في اتجاه هذين البلدين العزيزين هو بشكل أساسي المستوى الراقي للبحث الاجتماعي في الجامعات الوطنية هناك. لقد استطاعت هذه الجامعات الموازنة بين التدريس باللغة العربية والتأكد من معرفة الطالب لأحدث الأدبيات الصادرة في الغرب وبشكل أساسي باللغة الفرنسية. على أية حال، جعلتني تهمة «الهواء المغاربي» أكثر حساسية من التنوع الجغرافي للمجلة. ولا بد أن أذكر في هذا السياق حساسيات أخرى لي. فقد عملت على سياسة التمييز الإيجابي اتجاه طلاب الدكتوراه وبعض الأحيان طلاب الماجستير، بأن أبذل جهدًا كبيرًا لتحسين المسودة حتى تصبح المقالة بالمستوى المطلوب لما ننشره في **إضافات**. إذا كانت **إضافات** حساسة ليس فقط للتنوع الجغرافي ولكن أيضًا لتنوعات أخرى مثل التنوع الموضوعاتي أو العمري أو الجندري. حول التنوع الجندري، كنت أهتم عندما

تقوم باحثة في دول عادة ما يقل النشر عندنا لها مثل السعودية بأن يكون هناك أخذ وردٌّ قد يصل إلى ست مرات قبل أن تصبح المقالة جاهزة للنشر.

لقد أمضيت وقتًا طويلًا في التقارير التي أرسلها للمؤلفين موضحًا أن البحث الاجتماعي لا يكتمل إلا عندما تتوافر ثلاثة عناصر، بحسب السوسيولوجي الهندي أندريه باتاي (Béteille, 2013): **العنصر الأول** هو الجانب الميداني للبحث، و**العنصر الثاني** هو الإدراك بأن الظاهرة المدروسة لا يمكن فصلها من دون ربطها بالتاريخ والاقتصاد السياسي وطبيعة النظام السياسي. فمثلًا لا يمكن دراسة المسؤولية الاجتماعية للشركات من دون التحدّث عن تخلّي الدولة عن برامج العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة. أما **العنصر الثالث** والأخير، فهو الجانب المقارناتي. فمهما كان الجانب الإمبيريقي ضيّقًا (بحث أُجري على مستوى قرية أو مجموعة صغيرة)، يتوجّب على الباحث إجراء المقارنات بسياقات أخرى، بغضّ النظر إن كان ذلك سيؤدي إلى التعميم أم لا، ويتمّ ذلك من خلال السعي ذهابًا وإيابًا بين الإمبيريقي والنظري، بحيث نتبيّن كيف أن هذا البحث سيساهم في فهم إشكاليات تتجاوز مجتمع الدراسة، ويساهم في تطوير النظرية. وإذا لم نفعل ذلك، سنقع في مشكلة ما أسميتها أسطورة الفرادة، وحسبان كل مجتمع على أنه فريد واستثنائي.

هناك أسباب أخرى لرفض المخطوطات التي تصل إلى مجلة **إضافات**، لعل أهمها هو ضعف مراجعة الأدبيات ومحليتها وعدم احترام بعض القواعد. ومن هذه القواعد أنه عندما تكون المجلة العلمية دولية (أي غير إقليمية أو غير محلية)، يجب مراجعة الأدبيات التي تظهر بنحو أساسي الجدل والمناقشات العالمية، مع إمكان عمل مراوحة ذهابًا وإيابًا بين هذه الأدبيات والمراجع المحلية والإقليمية. أما في المجلات الإقليمية مثل **إضافات**: فيجب التركّيز على المناظرات الإقليمية وليس فقط المحلية. وبدأت بالتركيز على أسباب الرفض بشكل موسع. ففي عام 2014 وبعد ظهور خمسة وعشرين عددًا من مجلة **إضافات**، تراكمت لي خبرة عن أخطاء شائعة في كتابة مقالات البحث الاجتماعي وكتبت مقالة حول هذا الموضوع (حنفي، 2014) لأساعد الباحثين على تحسين مستوى الكتابة الأكاديمية. وبقي هذا الهاجس عندي بوصفي رئيسًا للجمعية الدولية لعلم الاجتماع والتي جعلت من مشروعي الرئاسي إقامة دورات تدريبية حول الكتابة الأكاديمية لأعضائها في بعض الدول التي أزورها أو يزورها محررو مجلات الجمعية.

أترك للقارئ والجماعة العلمية تقييم دور المجلة في الجدل العلمي الاجتماعي في المنطقة حول القضايا الجوهرية من اجتماع وسياسة واقتصاد وثقافة، وقد رافقت الثورات العربية بالدراسات والأبحاث محاولة خلق نقاش مجتمعي أكثر معقولية في المجال العمومي. وقد قامت بكل ذلك وهي تقاوم الظروف الصعبة لإنتاج المعرفة الاجتماعية العربية وبخاصة في ظل الأزمة الاقتصادية التي تعصف في لبنان والمنطقة بوجه عام.

إنني اترك هذه المجلة لرئيس التحرير القادم لمجلة **إضافات** وينتابني خليط من المشاعر الملتبسة: فمن طرف، غبطة تخفيف أعبائي في خدمة جماعة علمية عربية، حيث فتح لي مجال منذ شهر تموز/يوليو من هذه السنة لأن أكون زميلًا في الأكاديمية البريطانية (منتخبًا

مدى الحياة) وإتمام مهمة السنوات الخمس لرئاسة الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، والسعي للتركيز على أبحاثي الشخصية، وربما لقضاء وقت أكبر مع عائلتي. ومن طرف آخر، غصة ترك مجلة رافقتها منذ العدد الأول إلى الستين لتصبح جزءًا لا يتجزأ من روتين حياتي؛ آملًا للمجلة ولرئيس تحريرها الجديد طول العمر والبقاء.

المراجع

حنفي، ساري (2014). «الأخطاء الشائعة في كتابة مقالات البحث الاجتماعي.» **إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع**: العددان 27ـ26

حنفي، ساري (2022). «تقييم لجودة المقالات البحثية العربية: معامل «أرسيف» مثلًا.» **العربي الجديد**: 14 تشرين الأول/أكتوبر، <https://bit.ly/3ezdWBp>.

حنفي، ساري وريغاس أرفانيتيس (2015). **البحث العربي ومجتمع المعرفي: نظرة نقدية جديدة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

Béteille, André (2013). «The Vocation of Sociology: A Pragmatic View.» *Global Dialog: International Sociological Association Newsletter*, 2013. <http://globaldialogue.isa-sociology.org/wp-content/uploads/2013/07/v3i2-english.pdf>

Martin, Eloisa (2012). «Making Sociology Current Through International Publication: A Collective Task.» *Current Sociology*: vol. 60, no. 6, pp. 832–837.